

الفصل الثالث

المدرسة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْمًا سَجْدًا يَلْبِتُونَ فِضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾ ﴾ [سورة الفتح - الآية ٢٩]

١

لما انتهى بناء المسجد، هفت أفئدة المسلمين إليه، وزاد من تعلقهم به وجود رسول الله ﷺ فيه دائما، فتكاد تكون حياته كلها قائمة بالمسجد، فهو لا يغادره إلا للنوم، أو لقضاء حاجة. توافدت جموع المسلمين على مسجد رسول الله، من يقيم منهم بالمدينة، ومن يفد من البادية، وانتظمت في مداومة تردها عليه، لأداء الصلاة، أو للجلوس بين يدي نبي الله، وكان ﷺ يقول ممتدحا عملهم:

- ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده.
يقول الله عز وجل، في حديث قدسي: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه، ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملأ، ذكرته في ملأ خير منه، وإن اقترب إلى شبرا، اقتربت إليه ذراعا، وإن اقترب إلى ذراعا، اقتربت منه باعا، وإن أتاني مشيا أتيته هرولة.
ويرتل رسول الله ﷺ عن رب العزة سبحانه وتعالى قوله:

- ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ أَمَرَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾ ﴿١٨﴾ [سورة التوبة - الآية ١٨].
ويقول رسول الله ﷺ:

- من بنى مسجدا ليدكر الله فيه، بنى الله له بيتا في الجنة.

وقال رسول الله ﷺ:

- لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، ومسجد بيت المقدس.
- صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام.
- ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي.
- قال رسول الله ﷺ يعلمهم، وقد وجد أحدهم قد تفل فلصقت بصقته بقبلة المسجد:
- إن أحدكم إذا قام في الصلاة فإنما يناجى ربه، فلا يبصقن أحدكم قبل قبلته.
- ثم مسح رسول الله ﷺ البصقة بطرف برذته.
- وقد أعرابى من البادية، ليسأل رسول الله ﷺ في بعض أمور دينه، فلما ولج إلى المسجد انفرد بركن منه، وبال على أرضه، وحين هم بعض الصحابة بزجره، أسكتهم الحبيب ﷺ قائلاً في رحمة:
- لا تروعه.
- ولما انتهى الأعرابى من قضاء حاجته، أقبل على رسول الله ﷺ، فلم يزجره؛ ولم يعلن الحرب على عشيرته، ولا أمر بهدم مضاربهم، كما فعل «أبرهة الأشرم»، فى الماضى البعيد، لما أحدث أعرابى فى كنيسته، فقدم على مكة يريد أن يهدم الكعبة؛ بل هش فى وجهه، وقال لمن حوله:
- إنما جعلت المساجد للطهر وللصلاة.
- ثم أمر بوعاء به ماء، وصار ينثره على بول الأعرابى.

- كان المسلمون يجتمعون للصلاة فى المسجد بغير دعوة، فلم يكن الآذان قد عرف بعد، مما كان يجعل بعض المسلمين يفتنون للمسجد بعد انتهاء صلاة الجماعة، فكان رسول الله ﷺ يأسى على الذين فاتهم ثوابها، فصلاة الجماعة تفوق صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة، وهو ما كان يجعل رسول الله ﷺ يطلب من بعض أصحابه إعادة الصلاة مع من وفد متأخراً، قائلاً:
- من يأخذ ثواب أخيه؟
- ولقد شغل ذهن رسول الله ﷺ بالبحث عن سبيل لتنبيه المسلمين إلى مواقيت الصلاة، وحين أخبر أصحابه بأنه يريد أن يعلن بالصلاة، قال البعض:
- لنعلن عن موعدها باليوق.
- ولم يعجب رسول الله ﷺ، وقال:
- هو من أمر اليهود.
- قال البعض الثانى:
- لنعلنها بالناقوس.
- ولم يعجب رسول الله ﷺ، وقال:
- هو من أمر النصارى.
- قال البعض الثالث:

- لو رفعنا ناراً.

ولم يعجب رسول الله ﷺ ، وقال :

- ذلك للمجوس.

وانفض المجلس دون الوصول إلى رأى ، ولحظ «عبد الله بن زيد» ونفر من الأنصار، انشغال رسول الله ﷺ بهذا الأمر، فعز عليه أن يكون الحبيب محمد ﷺ على مثل هذا الحال، ونام ليلته وهو مهموم، فأتاه آت فقال له :

- إيت رسول الله ﷺ ، فمره أن يقول: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة، حتى على الصلاة، حتى على الفلاح، حتى على الفلاح، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

ثم جلس القائل قليلاً، ونهض يقول: الله أكبر، الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، حتى على الصلاة، حتى على الفلاح، قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله.

قام عبد الله من نومه منشراح الصدر، فلقد ذهب عنه الهم، وأسرع إلى رسول الله ﷺ ، فأخبره بما رأى، فقال الحبيب ﷺ لعبد الله :

- إنها لرؤيا حق إن شاء الله تعالى، فقم إلى بلال فألق عليه ما رأيت، ليؤذن به فإنه ندى الصوت. وكان جبريل عليه السلام قد جاء نبي الله ﷺ ، فى ذات الليلة بمثل ذلك، فلما صعد بلال إلى حائط المسجد ونادى للصلاة ، كان رسول الله ﷺ ، يقول مثل ما يقول بلال، عدا: حتى على الصلاة، حتى على الفلاح، فكان رسول الله يقول:

- لا حول ولا قوة إلا الله.

فاذا ما انتهى الأذان، قال:

- اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، صل على محمد وأعطه سؤله يوم القيامة. وعند أذان الإقامة، كان رسول الله ﷺ يقول مثلما يفعل عند الأذان، وعندما يقول المؤذن: قد قامت الصلاة، يقول:

- أقامها الله وأدامها.

وحين تجمع المسلمون للصلاة، إذا بعمر بن الخطاب يقبل مهرولاً، ويقول لرسول الله ﷺ :

- والذى بعثك بالحق يا رسول الله، لقد رأيت فى نومى مثل الذى أرى.

فقال رسول الله ﷺ :

- فله الحمد فذلك ثبت.

ليتأسوا به، وتلهف آذانهم لالتقاف كلماته ليتعلموا منها ويعلموا، فهو النبي المقتدى.
 كان يعلمهم كل شيء،، بدءا بإظهار وضوئه خارج المسجد، فيؤتى له بالإثناء، فيسمى اسم الله، ثم
 يصب على يديه فيغسلهما ثلاثا، ثم يحسو بكفيه من الإثناء فيتضمنض ثلاثا، ثم يستنشق ثلاثا،
 ويغسل وجهه ثلاثا، ويغسل ذراعه اليمنى فاليسرى ثلاثا حتى المرفقين، ثم يمسح على رأسه ثلاثا،
 ويمسح بأذنيه، ثم يغسل رجله ثلاثا بادئا باليمنى ثم اليسرى.
 ويقول أثناء وضوئه:

- اللهم اغفر لي ذنبي، ووسع لي في رزقي.

وكان ﷺ يقول عن ماء الوضوء:

- الماء لا ينجسه شيء، إلا ما غلب على: طعمه وريحه ولونه.

وإذا لم يكن هناك ماء تيمم، فضرب الأرض بكفيه ومسح على وجهه، ثم ضربها ومسح على يديه،
 ويكرر ذلك كل صلاة إذا لم يتوافر الماء.

وحين يتجه ﷺ إلى المسجد، يقول وهو يدخله:

- اللهم صل على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك.

فإذا اجتمع المسلمون للصلاة، دعاهم لأن يسووا صفوفهم، ويصفهم بيديه، أو بإشاراته، قائلا:

- استووا، أقيموا صفوفكم وتراصوا، لا تختلفوا فتختلف قلوبكم.

فإذا ما اطمان إلى ترص الصفوف، اتجه إلى القبلة رافعا ذراعيه مكبرا، ثم وضع يديه على صدره،
 اليمنى فوق اليسرى، واستغرق في ذكر الله، وراح يناجي ربه في سره قائلا:

- وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيقا، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب
 العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملك الحق لا إله إلا أنت، سبحانه
 وبحمدك، أنت ربي وأنا عبدك، لا شريك لك، ظلمت نفسي، واعترفت بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعا،
 فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم اهدني لأحسن الأخلاق، وأحسن الأعمال، لا يهدي لأحسنها
 إلا أنت، واصرف عني سيئها، وقتني سىء الأعمال وسىء الأخلاق، لا يصرف سيئها إلا أنت، لبيك
 وسعديك، والخير كله في يديك، والشر ليس إليك، الهدى من هديت، فأنا بك وإليك، لا منجى منك
 إلا إليك، تباركت وتعاليت، استغفرك وأتوب إليك.

وكان من عادة رسول الله ﷺ، إذا ما انتهت صلاة الفجر، أن يبقى في مجلسه يذكر الله، ثم
 يستدير إلى جموع الحاضرين يدعو قائلا:

- اللهم إني أعوذ بك من كل عمل يخزيني، وأعوذ بك من كل غنى يطغيني، وأعوذ بك من كل
 صاحب يرديني، وأعوذ بك من كل أمل يلهيني، وأعوذ بك من فقر ينسيني.

وكان من دعاء رسول الله ﷺ:

- اللهم إني أسألك رزقا طيبا، وعلما نافعا، وعملا متقبلا.

ويرفع صوته لسمع أصحابه دعاءه، مكررا كل دعاء ثلاث مرات:

- اللهم أصلح لى دينى الذى هو عصمة أمرى.

اللهم أصلح لى آخرتى التى هو إليها مرجعى.

اللهم أصلح لى دنياى التى فيها معاشى.

اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك.

اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت، ولا ينفع ذا الجدم منك الجدم.

وكان رسول الله ﷺ يقول:

- لأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة الفجر إلى أن تطلع الشمس، أحب إلى من أن أعتق أربعة من بنى إسماعيل، دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفا، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحب إلى من أن أعتق أربعة من بنى إسماعيل، دية كل رجل منهم اثنا عشر ألفا.

جلس رسول الله ﷺ إلى من بالمسجد يوما، فقال:

- أرايتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، ما تقولون أيبقى ذلك من درنه شيئا؟

قال الحاضرون:

- لا يبقى ذلك من درنه شيئا.

قال رسول الله ﷺ:

- فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله تعالى بها الخطايا.

فإذا ما انقضت الصلاة، وختم الدعاء، وأراد رسول الله ﷺ أن يخرج من المسجد قال:

- اللهم اغفر لى ذنوبى، وافتح لى أبواب فضلك.

جاء رجل إلى المسجد، وكان رسول الله ﷺ يجلس، ومعه صحابته، وقال:

- يا رسول الله إنى أصبت حدا فأقمه على.

فتشاغل عنه رسول الله ﷺ، فأعاد الرجل مقولته، فسكت عنه رسول الله ﷺ، وأذن لإقامة الصلاة، وقام الحاضرون إلى صلاتهم، فلما انقضت، انصرف رسول الله ﷺ، فتبعه الرجل، وأعاد

عليه ما قاله من قبل، فقال له الحبيب:

- أرايت حين خرجت من بيتك، أليس قد توضأت فأحسنست الوضوء؟

قال الرجل:

- بلى يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ:

- ثم شهدت الصلاة معنا؟

قال الرجل :

- نعم يا رسول الله .

قال رسول الله ﷺ :

- فإن الله تعالى قد غفر لك ذنبك .

ألا ما أرحمك يا حبيبي .

وما أعظم صبرك .

وما أشرح صدرك .

ذات يوم ، جاء إلى رسول الله ﷺ رجل ، فقال :

- يا رسول الله ، لقد ربحت اليوم ربحا ما ريحه أحد من أهل هذا الوادي .

فسأله رسول الله ﷺ :

- ويحك ، وما ربحت ؟ .

قال الرجل :

- ما زلت أبيع وأبتاع ، حتى ربحت ثلاثمائة أوقية .

فقال له رسول الله ﷺ :

- أفلا أنبتك بخير وأربح ؟ .

قال الرجل :

- ما هو يا رسول الله ؟ .

قال رسول الله ﷺ :

- ركعتين بعد الصلاة .

سئل رسول الله ﷺ :

- أى الأعمال أفضل ؟ .

قال ﷺ :

- الصلاة على وقتها .

قال رسول الله ﷺ ناصحا بعض ضيوفه :

- عليك بكثرة السجود ، فإنك لا تسجد سجدة لله تعالى ، إلا رفعك الله بها درجة ، وحط عنك

بها خطيئة .

قال رسول الله ﷺ :

- مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر ، وفرقوا بينهم فى

المضاجع .

- من نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها ، لا كفارة لها إلا ذلك .

- بين الرجل وبين الشرك ترك الصلاة.

٤

كان من يفدون على مسجد رسول الله ﷺ ، يحيون أن يسألوه في أمور دينهم، زيادة في العلم، واستزادة في التفقه، ولما سأله عن الصوم، قال رسول الله ﷺ :

- كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله تعالى: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يذبح شهوته وطعامه من أجلي.

- للصائم فرحتان: فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك.

وقال:

- الصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإن شاتمته أحد أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم.

- من صام يوماً في سبيل الله تعالى، جعل الله بينه وبين النار خندقاً كما بين السماء والأرض.
- إن في الجنة باباً يقال له باب الريان، لا يدخله إلا الصائمون، فإذا دخلوا أغلق فلا يدخل منه أحد.

- إذا دخل رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وسلسلت الشياطين، وينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر.

ولما سألوا رسول الله ﷺ عن الحج والعمرة، قال:

- جهاد الصغير والكبير، والضعيف والمرأة: الحج والعمرة.

قال أبو هريرة رضي الله عنه:

خطبنا رسول الله ﷺ ذات يوم، فقال:

- يا أيها الناس، قد فرض عليكم الحج فحجوا.

فسأله رجل:

- أفي كل عام يا رسول الله؟

فسكت رسول الله، حتى قالها الرجل ثلاث مرات، ثم قال:

- نروني ما تركتكم، لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم، إنما أهلك من قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإن أمرتكم بأمر، فاتوا منه ما استطعتم، وإن نهيتكم عن شيء فاجتنبوه.

٥

كان رسول الله ﷺ يعلم أصحابه، ويحبب إليهم التعلم، فكان ينقل إليهم بعض ما يحمله إليه

جبريل عليه السلام من علم، ولا يفصح به كله، فهو ينبئهم بما تطيقه أفئدتهم، لأنه لا ينسى كيف ارتعدت الأفئدة، واهتز اليقين، حين سمع المسلمون الأول بأمر إسرائه ومعراجه، فما بالكم لو قال بما يوحى إليه من السماء من أمور الغيب، إذن لاختلت العقول؟.

قال رسول الله ﷺ :

- من سلك طريقا يطلب به علما، سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض، والحيتان في جوف الماء، وأن فضل العالم على العابد، كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكن ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

ويحض رسول الله ﷺ على التعلم، فيقول:

- من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين.

- من خرج في طلب العلم، فهو في سبيل الله حتى يرجع.

- من سئل عن علم فكتمه، ألجم بلجام من نار.

- إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالم، اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا.

ولقد شخص رسول الله ﷺ ببصره إلى السماء ذات يوم وهو في مجلسه، وكثيرا ما كان يفعل،

ثم قال:

- هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدرُوا منه على شيء.

وتساءل «زياد بن ليبيد الأنصاري» دهشا، قال:

- كيف يختلس العلم منا وقد قرأنا القرآن، والله: لنقرئنه ولنقرئنه أولادنا ونساءنا؟.

قال رسول الله ﷺ :

- إنى كنت لأعدك يا زياد من فقهاء المدينة، هذه التوراة والانجيل عند اليهود والنصارى، فماذا

تعنى عنهم؟.

وقام «زياد» وفكره مشغول بما قاله رسول الله ﷺ، فلم يدرك معناه، فلقى «عبادة بن الصامت» رضى

الله عنه فحدثه بما سمع، فقال له عبادة:

- صدق رسول الله ﷺ، فإن شئت أخبرتك ما أول علم يرفع؟ أول علم يرفع من الناس الخشوع،

يوشك أن تدخل المسجد الجامع، فلا ترى فيه رجلا خاشعا.

قال رسول الله ﷺ :

- تعلموا الفرائض والقرآن، وعلّموا الناس فإنى مقبوض.

ذات يوم، بينما بعض الصحابة، جلوس إلى رسول الله ﷺ بالمسجد، طلع عليهم رجل شديد بياض

الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منهم أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ

وقد أسند ركبتيه إلى ركبتيه، وقال:

- يا محمد أخبرني، عن الإسلام؟.

قال رسول الله ﷺ :

- الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

قال الرجل:

- صدقت.

وتعجب الصحابة من أمر الرجل، يسأل رسول الله ويصدقه، ثم قال الرجل:

- فأخبرني عن الإيمان؟.

قال رسول الله ﷺ :

- أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

قال الرجل:

- صدقت، فأخبرني عن الإحسان؟.

قال رسول الله ﷺ :

- أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك.

قال الرجل:

- صدقت، فأخبرني عن الساعة؟.

قال رسول الله ﷺ :

- ما المسئول عنها بأعلم من السائل.

قال الرجل:

- فأخبرني عن أماراتها؟.

قال رسول الله ﷺ :

- أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان.

ثم انطلق الرجل خارجا من المسجد، فلبث رسول الله ﷺ في صمت مليا، ثم التفت إلى عمر بن الخطاب، وقال:

- يا عمر أتدرى من السائل؟.

قال عمر:

- الله ورسوله أعلم.

قال رسول الله ﷺ :

- هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.

سأل أعرابي رسول الله ﷺ بعد الصلاة، عن القضاء والقدر، فقال:

- قال موسى: يا رب أرني آدم الذي أخرجنا ونفسه من الجنة. فأراه الله أباه آدم عليه السلام. فقال: أنت أبونا آدم؟ قال: نعم. فقال: أنت الذي نفخ الله فيك من روحه، وعلمك الأسناء كلها، وأمر الملائكة فسجدوا لك؟ قال: نعم. فقال: فما حملك على أن أخرجتنا ونفسك من الجنة؟ قال آدم: ومن أنت؟ فقال: أنا موسى. قال: أنت الذي اصطفاك الله برسالاته، أنت نبي بنى إسرائيل الذي كلمك الله من وراء الحجاب، ولم يجعل بينك وبينه رسولا من خلقه؟ فقال: نعم. قال: فما وجدت ذلك في كتاب الله قبل أن أخلق؟ فقال: بلى. قال: فميم تلومني، في شيء سبق من الله فيه القضاء قبلي؟ قال رسول الله ﷺ:

- فحج آدم موسى، فحج آدم موسى، فحج آدم موسى عليهما السلام.

وكان رسول الله ﷺ يقول لصحابته ناصحا:

- لا يؤمن عبيد حتى يؤمن بالقدر، خيره وشره، وحتى يعلم أن ما أصابه، لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

- من سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله تعالى، ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله تعالى، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى.

- المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء، فلا تقل: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان.

- إن خلق أحدكم: يجمع في بطن أمه أربعين يوما، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أم سعيد، ثم ينفخ فيه الروح؛ فوالذي لا إله إلا غيره، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها.

- لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون: لا قدر؛ فمن مات منهم فلا تمشوا في جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوه، وهم شيعة الدجال، وحق على الله أن ينحتمهم بالدجال.

جاء «سراقه بن مالك بن جثعم» رضى الله عنه، فقال:

- يا رسول الله، بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن: فيم العمل الآن؟.. أهو فيما جفت به الأقدام وجرت به المقادير، أم فيما يستقبل؟

قال رسول الله ﷺ:

- لا. بل فيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير.
قال سراقة :

- فقيم العمل؟.

قال رسول الله ﷺ :

- اعملوا، فكل ميسر لما خلق له، وكل عامل بعمله.



فى مسجد نبى الله ﷺ ، وفى السنة التاسعة للهجرة فرضت الزكاة ونزل قوله تعالى : ﴿ حُذِرْنَ
أَمْوَالَهُمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [سورة
التوبة - الآية ١٠٣]. وجاء فرضها تأكيدا على روح المواخاة بينهم، وعلى التكافل، وأمر رسول الله ﷺ
أن يأخذها من المقتدرين منهم، ويعطيها لفقرائهم، وبهذا اكتملت أركان الإسلام الخمسة :

«الشهادة والصلاة والزكاة وصوم رمضان وحج البيت».

وذاى يوم، جلس رسول الله ﷺ إلى أصحابه، فقال :

- أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن : لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وقيموا الصلاة،
ويؤتوا الزكاة.

جاءه رجل، وقال له :

- يا رسول الله: عندى دينار.

قال رسول الله ﷺ :

- تصدق به على نفسك.

قال الرجل :

- عندى آخر.

قال رسول الله ﷺ :

- تصدق به على ولدك.

قال الرجل :

- عندى آخر.

قال رسول الله ﷺ :

- تصدق به على زوجك.

قال الرجل :

- عندى آخر.

قال رسول الله ﷺ :

- تصدق به على خادمك.

قال الرجل :

- عندي آخر.

قال رسول الله ﷺ :

- أنت أبصر به.

دخل المسجد رجل على هيئة توحى بالفاقة، ورسول الله ﷺ يأمر بالصدقة، فتصدق الناس، فأعطى رسول الله ﷺ للرجل ثوبين، ثم قال ﷺ :

- تصدقوا.

فأعطاه الرجل أحد الثوبين، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال :

- أترون إلى هذا الذى رأيته فى هيئة بذة فأعطيته ثوبين، ثم قلت تصدقوا، فطرح أحد ثوبيه.

ومد يده بالثوب يعيده إلى الرجل، قائلاً :

- خذ ثوبك.

جاءه رجل بمثل بيضة من الذهب، فقال :

- يا رسول الله، أصبت هذه من معدن فخذها فهى صدقة.

فأعرض عنه رسول الله ﷺ، فصار الرجل يكرر قوله، فأخذها منه رسول الله ﷺ، ثم ردها

إليه، وقال :

- يأتى أحدكم بما يملك فيقول: هذه صدقة، ثم يقعد يتكفف الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر

غنى، وابدأ بمن تعول.

- إذا أنفقت المرأة من طعام بيتها غير مفسدة، فلها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما اكتسب،

وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم من أجر بعض شيئاً.

- لا تنفق المرأة من بيت زوجها إلا بإذنه.

قيل :

- يا رسول الله ولا الطعام؟.

قال :

- ذلك أفضل أموالنا.

كمال قال :

- العائد فى صدقته، كالعائد فى قيئه.

وقال :

- ثلاث من فعلهن فقد ذاق طعم الإيمان: من عبد الله وحده، وعلم أنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة

ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرنه ولا المريضة ولا الشرط اللثيمة،

ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله تعالى لم يسألكم خيره، ولم يأمركم بشره.

سأل رجل رسول الله ﷺ، قال:

- ما الإيمان، وما الإسلام يا نبي الله؟

قال رسول الله ﷺ:

- الإيمان بضع وسبعون شعبة، والحياء شعبة من شعب الإيمان، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق.

- ثلاث من كن فيه وجد بهن طعم الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدا لا يحبه إلا الله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله تعالى منه، كما يكره أن يلتقى في النار.

- من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان.

- من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا رسول الله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان عليه من عمل.

- والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار.

- يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

- لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

- عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا المؤمن: إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له.

- من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت.

- المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من آمنه الناس على دمائهم وأموالهم.

قال رجل:

- يا رسول الله، أى الإسلام خير؟

قال رسول الله ﷺ:

- تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف.

- إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، كتب الله له كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان

أزلفها، وكان بعد ذلك القصاص، كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يجاوز الله عنها.

- من كان آخر كلامه: لا إله إلا الله، دخل الجنة.

قال رسول الله ﷺ:

- أتانى جبريل عليه السلام فبشرنى أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئا أدخل الجنة.
- قال أحد الصحابة :
- وإن زنا، وإن سرق؟.
- قال: وإن زنا، وإن سرق.
- وعنه أنه قال ﷺ :
- أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله خالصة من قلبه.
- كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم.

٨

- كان رسول الله ﷺ يحض على مكارم الأخلاق، ويقول:
- إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق.
- ويدعو ربه قائلاً:
- اللهم كما أحسنت خلقتى، حسن خلقتى.
- إن صاحب الخلق، يبلغ به يوم القيامة درجة الصائم القائم.
- اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالف الناس بخلق حسن.
- من حسن الخلق ترك ما لا يعينك.
- جلس رسول الله ﷺ إلى أصحابه فقال لهم:
- إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تباذوا، وكونوا عباد الله إخوانا، كما أمركم الله تعالى: المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم؛ كل المسلم على المسلم حرام: ماله، ودمه، وعرضه؛ إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.
- وأخذ النبي ﷺ يشير إلى صدره، ويقول:
- التقوى ها هنا، التقوى ها هنا، التقوى ها هنا.
- ألا لا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث.
- مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.
- من غشنا فليس منا.
- من أدخل على أهل بيت من المسلمين سرورا، لم يرض الله له ثوابا دون الجنة.
- أحب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما، عسى أن يكون

حبيبك يوما ما .

- يقول الله تبارك وتعالى :وجبت محبتي للمتحابين في ، وللمتجالسين في ، وللمتزاورين في .
وللمتبادلين في .

- ان من عباد الله ناسا ما هم أنبياء ، ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة ، هم قوم تحابوا بروح الله ، على غير أرحام بينهم ، ولا أموال يتعاطونها ؛ فوالله إن وجوههم لنور ، وإنهم لعلى نور ، لا يخافون إذا خاف الناس ، ولا يحزنون إذا حزن الناس .. وقرأ ﷺ هذه الآية :

﴿الْأَبْرَارُ أَكْرَمُ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة يونس - الآية ٦٢].

- المسلم أخو المسلم : لا يظلمه ، ولا يسلمه ؛ ومن كان في حاجة أخيه ، كان الله في حاجته ؛ ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا ، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ؛ ومن ستر مسلما ، ستره الله يوم القيامة ؛ ومن مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ، ثبت الله تعالى قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام ، ومن يسر على معسر ، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ؛ والله في عون العبد ، ما كان العبد في عون أخيه .

- من ذب عن عرض أخيه ، رد الله النار عن وجهه يوم القيامة .

- ما أكرم شاب شيخا لسنه ، إلا قيض له الله تعالى من يكرمه عند سنه .

- ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف ، وينه عن المنكر .

-- أتحب أن يلين قلبك ، وتدرك حاجتك ؛ ارحم اليتيم ، وامسح رأسه ، يلن قلبك ، وتدرك حاجتك .

- حق المسلم على المسلم خمس : رد السلام ، وعبادة المريض ، واتباع الجنائز ، وإجابة الدعوة ،

وتشميت العاطس .

- أطعموا الجائع ، وعودوا المريض ، وفكوا العاني .

- طوبى لمن هدى للإسلام ، وكان عيشه كفافا وفتح .

- لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدوا خصاصا ، وتروح بطانا .

- ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكن الغنى غنى النفس .

- إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق ، فلينظر إلى من هو أسفل منه . فذلك أجدر

ألا تزددوا نعمة الله عليكم .

- ليس الشديد بالصرعة ، وإنما الذي يملك نفسه عند الغضب .

- من ضار ضار الله به ، ومن شاق شق الله عليه .

- إياكم والجلوس في الطرقات ، فإذا أبيتم إلا المجلس فأعطوا الطريق حقه : غض البصر ، وكف

الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، وتغيثوا الملهوف ، وتهدوا الضال .

- إذا كنتم ثلاثة ، فلا يتناجى اثنان دون الثالث ، فإن ذلك يحزنه .

- لا يقيمن أحدكم رجلا من مجلسه ، ثم يجلس فيه ، ولكن توسعوا وتفسحوا يفسح الله لكم .

- إذا خرج رجل وعاد، فهو أحق بمجلسه.
- لا يحل لرجل أن يجلس بين اثنين، إلا بإذنهما.
- لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي.
- المرء على دين خليله، فليُنظر أحدكم من يخال.
- ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟

قالوا:

- بلى يا رسول الله.

قال رسول الله ﷺ:

- إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هي الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين.
- أحبب لأخيك ما تحب لنفسك.
- المسلم الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم، خير من الذى لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.
- الصدق يهدى إلى البر، والبر يهدى إلى الجنة، وان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وان الكذب يهدى إلى الفجور، وان الفجور يهدى إلى النار، وان الرجل ليكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذاباً.
- دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فان الصدق طمأنينة، والكذب ريبة.
- أمانة لمن اتقنتك، ولا تخن من خانك.
- من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان.

- إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر.

- إنكم منصورون، ومصيبون، ومفتوح عليكم، فمن أدرك ذلك منكم، فليتنق الله تعالى، وليأمر بالمعروف، ولينه عن المنكر، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار.

كان رسول الله ﷺ يوصى بوصول الأقارب، ويقول:

- الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلنى وصله الله، ومن قطعنى قطع الله.

- من سره أن يبسط الله تعالى فى رزقه، وأن ينسأ له فى أثره فليصل رحمه.

- تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم فإن صلة الرحم محبة فى الأهل، مثراة فى المال، منسئة فى الأثر.

- الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذى الرحم ثنتان.

جاء رسول الله ﷺ وهو يحدث بصلة الرحم رجل، فقال:

- يا رسول الله لى أهل أصلهم ويقطعوننى.

قال رسول الله ﷺ:

- صلهم.

قال الرجل:

- أعطيتهم ويمنعونني.
- قال رسول الله ﷺ :
- لا تمنعهم وصلهم.
- وكان رسول الله ﷺ يوصي المسلمين بالتراحم:
- الراحمون يرحمهم الله تعالى، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء.
- لا يرحم الله من لا يرحم الناس.
- لا تنزع الرحمة إلا من شقي.
- قبل رسول الله حفيده «الحسن»، وكان عنده رجل من المسلمين، فقال:
- إن لي من الولد عشرة، ما قبلت منهم أحدا.
- فنظر إليه رسول الله ﷺ، ثم قال:
- من لا يرحم لا يرحم.
- قال رسول الله ﷺ :
- جعل الله تعالى الرحمة مائة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين، وأنزل في الأرض جزءا واحدا، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه.
- عن رسول الله ﷺ أنه قال:
- بينما رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا، فنزل فشرب، ثم خرج، وإذا بكلب يلهث يأكل الثرى من شدة العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب، فشكر الله تعالى له، فغفر له.
- قالوا:
- يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرا؟.
- قال رسول الله ﷺ :
- في كل كبد رطبة أجر.
- دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض.
- إن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.
- من يحرم الرفق، يحرم الخير كله.

لم يكن كلامك يا حبيبي مجرد كلام، بل هو عمل وفعل، فلقد خرج رسول الله ﷺ يوما إلى الخلاء لقضاء حاجته، فبينما هو راجع، أبصر بامرأة عجوز تحمل على رأسها حملا ثقيلا من الحطب، فاقترب منها، وقال مستأذنا:

- ألا أحمله عنك يا خالة.

قالت العجوز: وهي تنقل إليه حملها:

- نعم.

ولما استوى الحمل على كاهل رسول الله ﷺ، قالت له العجوز:

- أى بنى، ألا أمدى إليك نصيحة؟

قال رسول الله ﷺ:

- نعم.

قالت العجوز:

- لقد نزل بالمدينة رجل يقال له محمد، فإذا رأيته فلا تتبعه فهو ما ينصحك إلا بما يهلكك.

وسكت رسول الله ﷺ ولم يعقب، واستمر يحمل الحطب حتى أوصله إلى خيمة

العجوز؛ فأنزله حيث طلبت منه. وشكرت له العجوز صنيعه، ثم سألته:

- ما اسم الفتى؟

قال رسول الله ﷺ:

- محمد بن عبد الله.

قالت العجوز:

- أنتت هو من خوفوني من اتباع دينه؛ أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله.

١٠

- كان رسول الله ﷺ، إذا بعث أحدا في بعض أمره قال:

- بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا.

كما كان رسول الله ﷺ دائم النصح لصحابته باتقاء الله في جيرانهم؛ وعن أم المؤمنين عائشة زوج

رسول الله ﷺ، أن رسول الله قال:

- ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

وقال رسول الله ﷺ لصحابته:

- لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه.

سأله سائل:

- يا رسول الله لى جاران، فمن أهدى؟

قال رسول الله:

- أقربهما منك بابا.

كان رسول الله ﷺ دائم الاستماع من يسأل، بلا ملل، ولا كلل، بسام لا يغضب إلا لله: يفيض في

كل ما ينفع أصحابه، ويشرح للكل بينما السائل واحد، مرحبا يهش ويقول ﷺ :
- سل عما شئت .

جاءه عامري يقول :

- أشهد بالله الذي لا إله غيره، أن أمرك حق، فأنبئني بأشياء أسألك عنها ؛ فأخبرني يا ابن عبد المطلب ما يزيد في العلم ؟.

قال رسول الله ﷺ :

- التعلّم .

قال العامري :

- فأخبرني ما يدل على العلم ؟.

قال رسول الله ﷺ :

- السؤال .

قال :

- فأخبرني ماذا يزيد في الشر ؟.

قال رسول الله ﷺ :

- التماذى .

قال :

- فأخبرني ، هل ينفع البر بعد الفجور ؟.

قال رسول الله ﷺ :

- نعم، التوبة تغسل الحوبة، والحسنات يذهبن السيئات، وإذا ذكر العبد ربه عند الرخاء، أغاثه عند البلاء .

قال العامري :

- وكيف ذلك يا ابن عبد المطلب ؟.

قال رسول الله ﷺ :

- ذلك بأن الله يقول : لا عزّتي وجلالي، لا أجمع لعبدى أمنين، ولا أجمع له أبدا خوفين، إن هو خافني في الدنيا، أمنني يوم أجمع فيه عبادي عندي في حظيرة الفردوس، فيدوم له أمنه، ولا أمحقه فيمن أمحق، وإن هو أمنني في الدنيا، خافني يوم أجمع فيه عبادي لنيقات يوم معلوم، فيدوم له خوفه .

قال العامري :

- يا ابن عبد المطلب، أخبرني إلام تدعو؟.

قال رسول الله ﷺ :

- أَدْعُو إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدِّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنْ تَخْلَعَ الْأَتْدَادَ ، وَتَكْفُرَ بِاللَّاتِ وَالْعَزَى وَتَقْرَبَا مَا جَاءَ مِنَ اللَّهِ مِنْ كِتَابٍ أَوْ رَسُولٍ ، وَتَصَلِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ بِحَقَائِقِهِنَّ ، وَتَصُومَ شَهْرًا مِنَ السَّنَةِ ، وَتُؤَدِيَ زَكَاةَ مَالِكَ ، يَطْهَرُكَ اللَّهُ بِهَا وَيَطِيبُ لَكَ مَالَكَ ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِذَا وَجَدْتَ لَهُ سَبِيلًا ، وَتَغْتَسِلَ مِنَ الْجَنَابَةِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْمَوْتِ ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَبِالْجَنَّةِ وَالنَّارِ .
قال العامري :

- يا ابن عبد المطلب ، إذا فعلت ذلك ، فما لي ؟ .

رَتَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴾ [سورة طه - الآية ٧٦] .
قال :

- يا ابن عبد المطلب ، هل مع هذا من الدنيا شيء ، فإنه يعجبني الوطأة من العيش ؟ .
قال رسول الله :

- النصر والتمكن في البلاد .

ولم يتوقف رسول الله ﷺ لحظة ، عن رعاية المسلمين وتعليمهم ، سواء من كان منهم بالمدينة أم فيما حولها ، فكان يذهب كل يوم سبت ماشيا ، أو راكبا ، إلى مسجد قباء ليصلى فيه ، فهو أول مسجد بنى في الإسلام ، ويقول عنه :
- صلاة في مسجد قباء كعمرة .

وفي مسجد قباء ، يلتقى بصحبه ويتذكرون أمورهم ، ويلقى فيهم درسه ، ويجيبهم عما يسألون عنه ، ويفصل فيما يحتكمون فيه إليه من الأمور ، حسب ما شرع الله في قرآنه المجيد ، وحسب ما يدرسه له جبريل عليه السلام .

وكان يحرص على مشاركة أهل المدينة ، المسلم منهم وغير المسلم في سرائهم وضرائهم ، فكان يحضر أفراحهم ، ويمشى في جنازتهم ، ويحثهم على الاقتداء به ، وفعل ما يفعل ، فكل عمله خير ، وتوحيد للمشاعر في أوقات الفرح والكره .

كان يخدم رسول الله ﷺ غلام من يهود ، فمرض الغلام مرضا شديدا أقعده ، فلما انقطع عن الذهاب إلى بيت رسول الله ﷺ ، سأل عنه ، فلما علم بالحال التي هو عليها عادة ، وقعد عند رأسه ، متأثرا لشدة مرضه ، وقال له في عطف بالغ ، وهو يشعر بدنو أجل الغلام :
- أسلم .

فراح الغلام ينظر إلى أبيه ، وهو لا يدرى ما يقول ، فقال له أبوه :

- أطلع أبا القاسم .

فأسلم الغلام ، وخرج رسول الله ﷺ من عنده وهو مسرور ، وقال :

- الحمد لله الذى أنقذه بى من النار.

وكان رسول الله ﷺ يحض المسلمين على التزاور، وعبادة المريض، ويقول:

- ما من رجل يعود مريضا، إلا وخرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يصبح، وكان له خريف فى الجنة، ومن أتاه مصبحا خرج معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى يمسي، وكان له خريف فى الجنة.

- من عاد مريضا، أو زار أخا له فى الله تعالى، ناداه مناد: أن طبت، وطاب ممشاك، وتبوات من الجنة منزلا.

- من توطأ، فأحسن الوضوء، وعاد أخاه محتسبا، بوعد من النار مسيرة سبعين ألف خريف. وكان رسول الله ﷺ يعلمهم، أنه من آداب زيارة المريض، تخفيف الجلوس، وقلة الصخب، وأنه يحسن أن يدعو الزائر لمزوره بطول الأجل، قال ﷺ:

- إذا دخلتم على مريض، فنفسوا له فى أجله، فإن ذلك يطيب نفسه.

- من عاد مريضا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات:

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك. إلا عافاه الله تعالى من ذلك المرض.

ويزداد ارتباط المسلمين بالمسجد، وحبا فيه بنى الأنصار والمهاجرون بيوتا لهم فى الأرض المحيطة به، رغبة منهم فى القرب من بيت الله، والتصاقا بالحبيب محمد ﷺ؛ وحتى الأسواق المتناثرة بين أحياء المدينة بدأت تتجمع وتتوحد فى سوق رئيسية بالقرب من المسجد، وأخذت المدينة تتشكل على صورة أخرى غير تلك التى كانت عليها، حين وفد إليها رسول الله ﷺ.

فلقد توسعت الحياة حول الجامع، وأصبحت مبانى المدينة كتلة سكنية واحدة، بعدما كانت وحدات متفرقة، وهو أمر لم يأت عبثا، بعد أن سادت روح الإسلام التى بثها نبي الله ﷺ فى النفوس، لتتغلغل فيها وتتأصل، فتصير سلوكا، ويصيح التواد والتراحم، هو سمة هذا المجتمع الإسلامى الأول، فالمسلم يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ومن هنا زالت مشاعر التبرص والقلق والخوف بين القبائل والأفراد، لتحل بدلا منها مشاعر التآخى والتواد، وما كان تقارب المبانى إلا تعبيراً عن توحيد المجتمع، وزوال الفرقة بين أفرادها، فهم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

وإذا كان هذا قد حدث بين من دخل الإسلام من أوس وخزرج وهود، فلقد ظل من عموا عن نعمة الإسلام من اليهود، يعيشون فى أحيائهم المتطرفة، والتى تكاد تكون حصونا.

وبهذا توحيد المسلمون فى المدينة، وأنشأت وحدتهم مدينة جديدة، تقوم فى ظاهرها على وحدة البناء، وفى أساسها على التقوى.

